

المجلد: 08 / العدد 01 جوان (2024)، ص.ص 345-353

سميائية العنوان في رواية تراب الماس لأحمد مراد

The semiotics of the title in the novel Diamond Dust by Ahmed Murad.

بروي غنية

Ghaniyya03@gmail.com

المركز الجامعي آفلو

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2024/06/02

تاريخ القبول: 2024/05/03

تاريخ الاستلام: 2024/01/04

ملخص:

يعد العنوان من الدواعي المحفزة لقراءة النصوص الإبداعية والرواية بوجه خاص، فهو عبارة مركزة مضغوطة موجزة، لذلك النسيج النصي الواسع، فهو بوابة لولوج النص واستنتاج البنية الدلالية لمحتواه. ومن هذا المنطلق يهدف هذا البحث إلى الكشف عن دلالة العنوان في رواية تراب الماس لأحمد مراد وتفكيك منظومته، وتأويلها من خلال الوقوف عند بنية العنوان، وصورة الغلاف لتفسي هذه القراءة التحليلية إلى جملة نتائج في مقدمتها أن عنوان رواية تراب الماس يظهر متميزا إذ يشكل علاقة أصالة ومنتصلة بالمتن الروائي، ويجيل بشكل مضمر إلى عناصر مهمة في بنية الرواية على رأسها الشخصية والمكان.

كلمات مفتاحية: الرواية، تراب الماس، أحمد مراد، العنوان، السميائية .

Abstract

The title is one of the guiding and motivating reasons for reading creative texts and novels in particular , as it is a focused, compressed, and concise phrase, within the broad textual fabric It is a gateway to entering the text and deducing the semantic structure of its content..

From this standpoint, this research aims to reveal the significance of the title in the novel Diamond Dust by Ahmed Murad and to dismantle its structure and interpretation by examining the structure of the title and the cover image . This analytical reading leads to a number of results, the first of which is that the title of the novel Diamond Dust appears distinct, as it forms a connected relationship connected to the text. The novelist implicitly refers to important elements in the structure of the novel, most notably character and place

Keywords: The novel, Diamond Dust, Ahmed Murad, title, semiotics

1-مقدمة:

يعد العنوان من الدواعي الموجهة للقراءة في النصوص الإبداعية بعامة والرواية بشكل خاص، فهو عبارة عن عتبة نصية لذلك النسيج النصي الواسع، تأتي في الغالب مركزة مضغوطة موجزة فهو بوابة لولوج النص واستنتاج البنية الدلالية لمحتواه.

وفي ميدان السميائيات يعد العنوان علامة في مقدمة العلامات لها دور في تشكيل هيكل العمل الفني بعده نظاما بحاجة إلى معالجة منهجية أساسها ربط العلامات على اعتبار أي علامة تدخل ضمن حتمية الارتباط التركيبي بدلالات

أخرى، لأن جمالية النص لا تكتمل بمعزل عن العنوان ومقاصده التي تشتغل، وظيفيا، ودلاليا، وفيما لتثير القارئ وتدفعه إلى الوقوف عنده.

يقوم هذا البحث على إشكالية محورية تقضي بالبحث في كيفية تشكل هذا العنوان بإيعازه للتص، فهل يمكن عدّ هذا العنوان مفروض بقوة قواعد التص وحدوده أم هو بهرجة لغوية وضعها الكاتب لحاجة في نفسه؟ وكيف تشكلت بنية العنوان في رواية تراب الماس سميائيا؟

دفعتنا الإجابة عن هذه الإشكالية لتبني المنهج الوصفي وفق مقارنة سميائية منطلقين من تفكيك حصن العنوان إلى الخروج بجملة نتائج لخصتها هذه الدراسة.

2-سميائية العنوان:

يشكل العنوان أولى المحطات التي يقف عندها المتلقي، بوصفه رسالة من المبدع إلى القارئ، و جسرا للعبور إلى ثنايا النص، والعنوان أقل ما يقال عنه أنه قناع نص شفاف (يكشف ويخفي) يقول ولا يقول إذ "بعد العنوان، أول المراحل التي يتأملها الباحث السيميولوجي، قصد كشف بنياته وتراكيبه ومنطوقاته الدلالية ومقاصده التداولية، إذ أن العناوين علامات سميائية تقوم بوظيفة الاختواء لمدلول النص، كما تؤدي وظيفة تناصية، إذ كان العنوان يحيل على نص خارجي، يتناسل معه ويتلاحق شكلا وفكرا"¹¹

يعنى هذا أن للنقد ما يقوله في العنوان، خاصة الدراسات النقدية المعاصرة على رأسها السميائية التي أولت النص وما يحيط به عناية خاصة، وأن على الناقد السميائي قبل أن يلج النص يقف أولاً عند العنوان، وهنا لا بد من الإحاطة بالعنوان من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

2-1العنوان لغة:

يقول ابن منظور: "عَنْ الكِتَابِ يَعْنِيهِ عَمَّا وَعَتْنَهُ كَعَمُونَهُ، وَعَمُونُهُ وَعَلُونُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، مَشْتَقٌّ مِنَ الْمَعْنَى وَقَالَ الْحَيَّانِيُّ: عَمَّنْتُ الكِتَابَ تَعْنِينًا وَعَيْنِيهِ تَعْنِيَةٌ إِذَا عَمَّنْتُهُ، أَبْدَلُوا مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءً، وَسُمِّيَ عِنَاوَانًا لِأَنَّهُ يَعْنِي الكِتَابَ مِنْ نَاحِيَتِهِ"²² من خلال هذا فالعنوان هو علامة تحديدية أو هو أثر دال وواضح لما هو غائب أو مضمّر.

2-2العنوان في الاصطلاح:

ويمثل العنوان حسب رأي أحد النقاد: "مقطع لغوي أقل من الجملة يمثل نصاً أو عملاً فنياً ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين (أ) في سياق (ب) خارج السياق"³

ولا تصاغ العناوين هكذا بالصدفة أو بالعموية ولكن تحكمها شروط، أهم هذه الشروط أن "تفرز معاني جمالية خاصة لدى كل قارئ بحسب تصوراته وخبراته وحالاته الذهنية وقت القراءة إن العنوان رؤية للعالم لا تخص المؤلف وحده، لكنها تقع أيضاً على محور اهتمام القارئ فتتحقق في العنوان وظائف الإغراء والتحرير للقارئ، فضلا عن وظيفة التعيين والإخبار، ويحمل العنوان بلا شك شحنات دلالية لا تحملها مفرداته فحسب، ولكن موجبات المعاني التي يثيرها في النفوس التي تبدو مفاتيح تأويلية لقارئ الرواية"⁴ هذا القول يعزز ما قلناه من أن العنوان يكتنز بالدلالات التي تغري القارئ وتثير فضوله، وإذا أردنا أن نخترل الكلام في مسألة العنوان نقول أنه يمثل أقصى حد من الاقتصاد اللغوي، وهو بوابة مفتوحة أمام التأويل واختراقه يعني الدخول في النص.

3-قراءة سميائية لعنوان رواية تراب الماس:

يوحي عنوان "تراب الماس" بوجود خارطة دلالية تحدد وجود علاقة إخبارية تبليغية بين المرسل والمرسل إليه أو بين المبدع والمتلقي، هذا الأخير الذي بمجرد تلقيه للعنوان يشغل بوصلته الثقافية والفكرية وينطلق على متن التأويل ليصل إلى مقصدية العنوان، وتراب الماس جاءت هذه العبارة لتكون عنوانا للرواية. وهنا يراودنا السؤال التالي هل ترجمت هذه العبارة فحوى النص واختزلت دلالاته ورموزه، وشكلت نظاما دلاليا قابلا للتأويل؟

للإجابة عن هذا السؤال ولفهم ما يحمله عنوان الرواية "تراب الماس" من رموز ودلالات ندرسه من الجوانب التالية:

3-1-الجانب التركيبي و الدلالي:

يسعى الروائي من خلال بثه للعنوان إلى جذب المتلقي، وإدخاله من بوابة مشفرة (العنوان) إلى عالم من السحر والخيال يصنعه الإبداع فحيل العنوان تجعل المتلقي " يتحرك دلالياً في حركة مزدوجة بين (الإضاءة والعممة) على معنى أنه -

أحياناً - يكشف عن ناتجه الدلالي من القراءة الأولى، وأحياناً أخرى ينغلق عن ذاته، ولا يكاد يفصح عن هذا الناتج إلا بعد مجاهدة وبرغم المجاهدة فإنه قد يججب ناتجه، وعلى القارئ أن يستقبل العنوان في هذا الأفق المزدوج، ويتحمل هذه المراوغة الإنتاجية، حيث إن العنوان يسمح بكشف عيتها، لكنه سرعان ما ينفيا، وذلك راجع إلى الاختزال الذي يسيطر عليه".⁵ معنى هذا أن العنوان يتلاعب بالمتلقي ويدخله في دوامة ازدواجية قد تكون فيها الإضاءة وقد تكون العتمة ففي بعض الأحيان يكون مباشراً يفصح ناتجه الدلالي من البداية وفي بعض الأحيان يترك المتلقي في مجاهدة تشويقية تقارب النهاية ليكشف عن ناتجه.

والعنوان بالنسبة للسميائي "بعد نواة أو مركز للنص الأدبي، يمدد بالمعنى النابض"⁶ يقول محمد مفتاح "إن العنوان يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته ونقول هنا: إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه."⁷ فالسميائي يقف عند عتبة النص ويفك شفراته ليصل إلى فهم ماخفي من النص.

"وقد أولى "جيرار جنيت"، عناية كبيرة للعنوان باعتباره نصاً موازياً يندرج ضمن النص المحيط، والنص الموازي عنده هو ما يصنع به النص من نفسه كتاباً ويقترح جيرار جنيت تقسيم العنوان إلى ثلاثة أقسام:
أ/ العنوان (الأساس أو الرئيسي).

ب/ العنوان الفرعي

ج/ التعيين الجنسي.⁸

وعلى هذا الأساس نحاول قراءة عنوان رواية "تراب الماس".

العنوان الرئيسي: تراب الماس والعنوان التجنيسي رواية

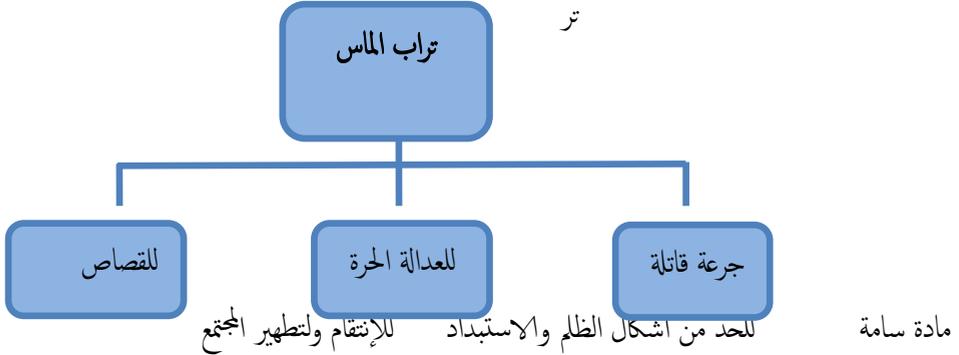
هنا وردت البنية المكونة لهذا العنوان على شكل جملة اسمية ذات مركب اسمي مكونة من كلمتين الأولى "تراب" والثانية "الماس" وكل واحدة منها مكفية الدلالة، فالتراب هو تلك المادة الموجودة في الطبيعة وهي أصل الخلق، تكرر ذكر كلمة تراب في القرآن الكريم أكثر من مرة ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قَرِيْبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا)) (سورة النبا الآية 40) والماس هو أحد المعادن النفيسة والثمينة والأسرة للقلوب، يتشكل من خلال عدة مراحل تحدث في الطبيعة وهو مصدر مهم في صناعة المجوهرات.

فالعلاقة بين هذه الكلمتين متصلة ضمناً لأن الماس يستخرج من التراب والتراب هو أصل الكون وهذا ما يجعل من تراب الماس عنواناً مغرباً يجذب القارئ إلى أغوار النص قصد الكشف عن دلالاته العميقة فالعنوان عموماً " يعد نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شفراته الرامزة"⁹

وبالعودة إلى العنوان تراب الماس نقول أن الإنسان خلق من تراب ((لَوْ مِثْلَ عِصَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ حَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (سورة آل عمران، الآية 59) وسيعود إلى التراب جاء في الرواية "اليوم التالي شهد خروج الجنازة من مسجد "عمر مكرم" صلوا عليه وواروه التراب"¹⁰ والماس يستخرج من التراب ويشترك مع الفحم في المادة الأساسية المكونة لها " يتكون الألماس من عنصر الكربون (فقط) وتحت الضغط والحرارة العاليتين وظروف غير معروفة تحدث في أعماق الكرة الأرضية ، وبالرغم أن الكربون هو المكون الرئيسي للجرافيت والفحم إلا أن خصائص كل منهما تختلف عن الآخر بشكل ملحوظ وكبير"¹¹ فالماس يظهر على شكل لامع وكريستالي والفحم يتخذ لون قاتم كأننا نفهم من "تراب الماس" إن الكلمة الأولى "تراب" تعني أن الإنسان مهما كان في حياته شقيماً أو سعيداً خيراً أو شريئاً هو في نهاية المطاف "تراب" و"الماس" يغطيه التراب وهو المعدن النفيس المسخر للنخبة للعليا من الناس، فمن المنظور التقليدي يقدم أو يهدى أو يبتاع لطبقة معينة كأن يكون للملوك أو للعروس التي يسعى زوجها لإرضائها... العنوان يخبرنا أن الإنسان الخبير يحيط به الشر وأن الصالح يحيط به الطالح والجمال يحيطه القبح. أو قد يكون هذا الإنسان نفسه ظاهره ماس لامع مرغوب غالي الثمن ولكن الحقيقة تكمن في باطنه الفحم القاتم الأسود الشرير هذا الجدل تصنعه شخصية حسين الزهار الذي يظهر بمظهر الطيبة والحنان وفي الباطن هو شخص كاره للحياة وحاقد على أهلها وفي ذات الوقت هي مادة قاتلة تستخدمها هذه الشخصية للقتل وتطهير المجتمع من كل من هو فاسد فيه.

إذاً عنوان "تراب الماس" يعكس على نحو استعاري الصراع بين الحرية والقمع وبين الحق والباطل فالثنائية اللفظية المكونة للعنوان ذات دلالة مكثفة.

جاء العنوان جملة اسمية "تركيب إسنادي" مكونة من كلمتين فلفظة تراب (مسند) هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا تراب الماس فيكون هذا هو مسند إليه "مبتدأ"، و تراب هي خبر للمبتدأ المحذوف في الجملة الاسمية الأصل أن يكون كل من المبتدأ والخبر في حالة ثبات، إلا أن هناك استثناءات تمس اللغة العربية - بحسب الغرض- فقد يحذف المبتدأ أو يحذف الخبر وقد يكون القصد من وراء حذف المبتدأ هو جعل المتلقي في حيرة تشويقية لمعرفة مدلولات الجملة ومن ناحية بلاغية أن يكون الإيجاز والاقتصاد اللغوي في اللغة وليفيد الاختصاص. ومن خلال هذا الجانب نجد جملة تراب الماس تشير وتدل على عدة أشكال:



هذه الأشكال (الجرعة القاتلة، العدالة الحرة، القصاص) كلها مجتمعة تترجم تراب الماس فهي تجسد - (الجريمة النبيلة) - الجريمة التي لا يدفعها الحقد الشخصي فقط بل الحقد الموجود عند كل مظلوم في كل مكان وكل زمان.

2-3 صورة الغلاف:

للغلاف حظوة كبيرة في دراسة الرواية الحديثة، حيث عدّ عنصراً من العناصر الموازية للنص، وأول محطة سردية تصادف المتلقي، يقول جرار جنيت "التصوص الموازية تحيط بالنص، وتمططه وبعبارة أدق فهي كائنة لتقدمه (...). لتؤكد وجوده في العالم لحظة تلقيه واستهلاكه"¹² فالرواية لم تعد كتاباً للتسلية والترفيه فقط بل أصبحت العناية بها أعمق من هذا فالاهتمام بالبنية السردية أصبح من داخل النص ومن خارجه ومعنى هذا أن دراسة المتن الروائي تلزم الباحث بالوقوف عند العنوان والعنوان لا يعزل عن الغلاف.

فالعلاقة الإبداعية تتركز على الارتباط القائم بين مكونات الغلاف الخارجي وفضاء الكتابة النصية لمضمون الرواية، ليكتفي كل هذا على إستراتيجية خطابية تسعى لإجراء وتحقيق أكبر قدر من الانتشار.

وهو بذلك يعد من بين أهم العتبات التي يواجهها القارئ للولوج إلى عالم الرواية، كما أنه جسر من الشفقات القابلة للتأويل، ويتشكل الغلاف من علامات "تعريفية" تميز هذا الكتاب عن غيره "وغالباً ما نجد على الغلاف الخارجي اسم المؤلف وعنوان مؤلفه وجنس الإبداع وحيثيات الطبع والنشر علاوة على اللوحات التشكيلية وكلمات الناشر أو المبدع أو الناقد تزيك العمل وتثمنه إيجاباً وتقديماً وترويجاً"¹³

فالغلاف كما يرى حسن نجحي "هوية بصرية ينبغي أن نتقبلها كإحدى هويات النص (...). بالتالي يضع سمات للنص وعلاماته وهويته"¹⁴ فالغلاف يسند النص بما يحمله من علامات فهو بمثابة بطاقة تعريف للكتاب.

لعنوان "تراب الماس" قدرة فائقة خولته أن يكون نصاً موازياً لأن الروائي وظف لوحة فنية تمثل أشكالاً بصرية كأنها تبوح بمكامن العنوان هذه البراعة وهذا البوح نابع من إبداع المؤلف لأنه هو صاحب تصميم الغلاف هذه اللوحة قدمت العنوان في باقة دلالية غنية ومكتنزة بالإيحاءات، من خلال امتزاج الألوان ودلالة كل لون (الأصفر، الأخضر، البني، الأحمر) فتشكيلية هذه الألوان تمازجت بين الألوان الداكنة والفاتحة كل هذه الألوان تصنع فسيفساء الغلاف

أ-الألوان:

بداية عند التدبر في الكون، ندرك عظمة الخالق في خلقه سبحانه وتعالى، خلق الكون وزينه بألوان تسر الناظرين، فللجبال لون وللأرض لون وللسماء لون وللإنسان لون..... الخ

قال تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ " [سورة الروم، الآية، 22] وجاء أيضا في كتابه العزيز " وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ [سورة النحل، الآية، 13]

فحاجتنا للون هي حاجتنا للجمال الذي تساهم الألوان بصناعته فعندما ننبرر بالطبيعة يكون تمازج الألوان فيها هو الصانع لذلك الانبهار فاللون يحرك بواطن النفس ويعكس مشاعرها فيبدو على الذات السعادة أو الحزن، التفاؤل أو التشاؤم ولا أدل على ذلك اختيارنا وتفضيلنا لألوان دون أخرى نختارها لأنفسنا أو لبيوتنا واختيارنا لها يمنحنا الاطمئنان والثقة.

وبهذا فالألوان تكنسي أهمية بالغة ليس في الواقع فقط، بل حتى في التصوص التخيلية، فلها قراءة "خاصة" فالألوان كما يقول الدكتور عبد المالك مرتاض: "اندجت بالسلوك الحضاري المعاصر فأصبحت تكنسي دلالات، وتشكل خطبا تفهم... فاللون إذن في الذهنية المعاصرة للإنسان لم يعد مجرد لطفة من الصبغ توضع على ثوب أو قرطاس، وإنما أصبح كل لون يرمز إلى سيميائية، إلى عالم من الرموز..."¹⁵ فالألوان تجاوزت قضية الاعتباط وأن توصف بكونها إطارا ترتيبيا فقط بل أصبحت إطاراً تعبيرياً يقرأ من وجهة سيميائية وتفهم دلالاته ونحن هنا نتحدث عن السرد الذي وسع دائرته "اللغوية" ليحفل من اللوحات "الموجودة في غلاف متن ما.. إلى لغة يترجمها اللون إذ"لفتت ظاهرة اللون أنظار القدماء، فنحدث عنها فلاسفة أمثال فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم... وقد كتب أرسطو مثلاً يقول: "الألوان البسيطة هي ألوان عناصر الوجود أعنى النار والهواء والماء والتراب"¹⁶

ب- اللون الأبيض:

يدل اللون الأبيض على النقاء والصفاء والنظافة والوضوح والبساطة والبراءة فالبياض من الرموز المعنوية حسية ويوحى بالسكينة والطمأنينة والسلام لذلك اختير الحمام للسلام، كما يرمز اللون للتفاؤل والسرور والمحبة والطهارة وهو زمر على الديانة الإسلامية ولا أدل على ذلك ثوب الحج الموحد باللون الأبيض. نجد هذا اللون في رواية تراب الماس حيث اختاره الكاتب ليكون للعنوان الذي كتب باللون الأبيض والخط العريض.

ج- اللون الأسود:

يدل اللون الأسود عادة على الفخامة والرسمية والأناقة والحديدية والغموض وفي الرواية ما يوحى بهذه الأوصاف "أما الأسود في الثقافة المصرية فهو مرتبط بالحداد والحيانة والتشاؤم وفي ذلك نستحضر أن دلالات الألوان تخضع للمعيار الأنثروبولوجي أكثر من غيره كما وضحت ذلك دراسات سيميائية مهمة"¹⁷ ويؤكد سعيد بن كراد ذلك إذ يرى "أن دلالة الألوان تختلف من ثقافة لأخرى، فلا وجود لترسيمة جاهزة ومطلقة للألوان إن الأمر يتعلق بحساسية خاصة تجاه محيط المؤول وتجاه ثقافته وتاريخه وتاريخ الآخرين أيضا"¹⁸

د اللون الأصفر:

هذا اللون يحمل بعضا من التناقض فهو لون البهجة والسعادة والمرح ولون (للحقد والحسد والخيث) ما يترجم في الغيرة ففي الثقافة الشعبية تقول فلان هذا صاحب الضحكة الصفراء وتقصد من وراء هذا الحكم دليل على مكر وخداع صاحبه وأنه يظهر عكس ما يبطن.

هـ اللون البني:

لون الطبيعة ودليل على الصلابة، فالتراب بني اللون. إن المتعمق في مركبات الغلاف يدرك أنها لم توضع جزافا أو مجانا هكذا، وإنما كانت مدروسة لتكون ومؤشرا على النص، فينتقل القارئ على متن الصورة إلى النص ومن النص للصورة في علاقة تبادلية تأويلية، وتجدر الإشارة هنا إلى أننا ندرس غلاف الرواية الصادرة عن دار الشروق في طبعها الثامنة التي اعتمدنا عليها كمدونة لهذا البحث وننوه إلى أن الرواية تحمل في طبعات أخرى غلafa آخر لذلك ارتأينا أن نعطي قراءة لغلaf الرواية التي بين أيدينا وأن نشير إلى ما يحمله الغلاف الآخر.

ما نلاحظه أن هذه العتبة شكلت الوحدات اللغوية التي لها علاقة بالمحتوى الداخلي للنص،

يتصدر اسم المؤلف واجهة الكتاب، ويتموقع في أعلى الغلاف باللون الأبيض، وهو علامة لغوية تجيب على السؤال الضمني من هو الكاتب؟ كأننا نلمح صيغة إخبارية "ذاتوية" أنا أحمد مراد وبالنسبة للتأويل فهذه العلامة اللغوية خارجة عن نطاق التأويل وهذا الأخير لا يشملها.

فمن أعلى الغلاف من اليمين إلى اليسار تتدرج الألوان من الأسود الذي ترجمه شخصية الرئيسية "حسين الزهار" الرسمي في عموم المواقف والغامض في الأفكار والتصرفات ثم اللون البني الذي يدل على المتانة والفردية والأكثر من هذا كله أنه لون الطبيعة لون التراب أو الطين الذي خلق منه الإنسان.

ثم اللون الأصفر في أقصى يسار اللوحة في الأعلى، الذي من دلالاته الهجعة والمرح والحقد والخبث كما ذكرنا سابقا وكأننا من خلال هذه الألوان نلج إلى سطور النص وإلى مراحلها، بين مرحلة مطبات وهموم، إلى مرحلة ثقة وتفاؤل، إلى مرحلة سعادة ولكن - حسب لوحة الغلاف- السعادة لم إذ تدوم طويلا سعادة يعكرها التشاؤم والحقد، تطل على نافذة خلفها شجرة بدون أوراق كأي بها عائلة الزهار التي تساقطت وتشتت الواحد تلو الآخر، حياة تطل على القسوة والحمران، حوت النافذة على شيء غريب أو بالأحرى طائر غريب لم نعتد وجوده على نوافذنا أو في بيوتنا وحضوره هنا (في الغلاف) يمحو نوعا ما تلك الغرابة لأنه شخصية من شخصيات النص، شخصية رمزية تشير إلى هذا البيت الذي تفوح منه رائحة الدم والمعروف أن الغراب يوجد في مكان تكون فيه الجيف (وهو نذير شؤم) عند البعض، على الرغم من وجود منظومة قانونية عادلة تحكم الغراب وتسمى بمحاكم الغراب ولنا أيضا في قصة أبناء سيدنا آدم (قائيل وهابيل) عبرة ودروس ولعلها في تراب الماس علامة للبحث عن عدالة تخص البشر يفهمها حسن الزهار تشبه عدالة الغراب التي تعد من أعدل المحاكم على وجه الأرض .

ولوحة الغلاف ككل هي غرفة شبه مظلمة جدرانها قديمة ومشوهة، ونافذتها شبه مفتوحة، وأثاثها مبعثر وسريها مهجور غير مرتب، على السرير توجد حقيبة يد "التي عادة تحملها المرأة" وفي الأسفل بقايا قماش تبدو قديمة هذه الغرفة هي غرفة "حسين الزهار" غرفة باردة من المشاعر الأسرية والدفاء العائلي- التي من المفروض أن تكون في كل البيوت- هذه البرودة ولدت مشاعر الحقد الذي صنعتها عتمة الغرفة التي لا روح فيها ولا حياة، غرفة لا تستقبل أي زائر باستثناء صديقان: صديق مسالم أتبق بأفكاره وتصرفاته يحمل الإنسانية ابنه "طه"، -باعتبار ما كان أي عندما كان والده على قيد الحياة- وصديق عادة لم يكن يوما صديقاً للإنسان صديق للأموات دون الأحياء غراب أسود (مخيف).

على جانب الزاوية مكتوب عنوان الرواية في الوسط باللون الأحمر اسم المؤلف - "أحمد مراد" واسم الناشر "دار الشروق" باللون الأبيض الذي يدل على الطهارة والنقاء والصفاء وكذا اللون الأحمر الذي يدل على الخطر وعلى الإثارة وعلى الحب.

هذه الدلالات هي مجمعة تبوح بمعنى الرواية، وهي تحمل هذه المعاني وأكثر، وهناك عبارة تتوسط لوحة الغلاف هذه العبارة يمكننا اعتبارها عنواناً فرعياً للرواية تقول العبارة "**حين يصبح القتل أثراً جانبياً**" عبارة موجزة وقصيرة تحمل معاني مكثفة وعميقة.

وفي الغلاف ككل كأننا نلمح هدوءاً بعد عاصفة غضب مزقت المكان وتركت أثراً يدل على أوضاع يسودها القلق والتوتر والنتية والضياح، والأكثر من هذا معاناة يكون الخلاص فيها وبها هو القتل ليصبح فيما بعد أثراً جانبياً فقط، فالغلاف يوضح أكثر المكان الذي يحمل الكثير من الجفاف الروحي والعاطفي الممزوج بكل أنواع الألم والبؤس، وبالتالي مكان تنطلق منه وإليه الجريمة.

وخلاصة ذلك أننا نميز في قراءتنا السيميائية لغلاف الرواية بين مستويين هما:

1-2: المستوى المكتوب:

وتقصد به ما هو مدون على صفحة الغلاف من ألفاظ وعبارات، فما نلاحظه أن هذه الكلمات كانت بارزة، أي مكتوبة بخط بارز يتوسط صفحة الغلاف (تقصد هنا عنوان الرواية) فجاءت أحرف الجملة دالة ومغرية وقوية أيضا مدونة بالخط العربي" المزيج الذي يجمع بين النسخ والتلث وهو من الخطوط العربية، وفوق العنوان نجد اسم المؤلف أحمد مراد.

أما اللون الغالب على العنوان واسم المؤلف هو اللون الأبيض الذي يعد من الألوان التي تؤدي أدواراً سيمائية عظيمة كالسلم مثلاً والنقاء تقول فلان قلبه أبيض ونقصد من وراء هذا الحكم أنه لا يحمل حقداً ولا ضغينة في قلبه فهو دليل على النقاء والصفاء وفي مقابل ذلك فالإنسان لا يأخذ معه إلا "الكفن" الأبيض فقط، فالعنوان هو بنية مشفرة عن الرواية وما يعزز ذلك العبارة التي تأتي مباشرة تحت الغلاف والتي ذكرناها سابقاً "حين يصبح القتل أثراً جانياً" عبارة محملة بعبء من الدلالات والرموز عبارة تبوح بما يتوارى خلف العنوان الرئيسي كأن الكاتب يريد أن يقول ومن خلال لفظة "القتل" نريد سلاماً ونريد أملاً، عدلاً، خيراً... لكن الوسيلة المختارة لذلك هي تراب الماس أو بودة الماس تلك المادة البيضاء التي تفتك بكل من تناول جرعة بسيطة منها والتي، لا تحمل ولو جزءاً من هذا السلام، لتكون الوسيلة هي الجريمة هي القتل، هي أن تزهق أرواحاً لتعيش أرواحاً أخرى تستحق أن تعيش هي فلسفة هذه الرواية الخاصة في محاسبة المجتمع وإقامة العدالة فيه ولكن نسأل نحن هل لها شرعيتها؟ (الدينونة والدينية) وهل لنا أن نأخذ حقوقنا بأيدينا أو نترك الكون لرب الكون هو الذي يحاسب وهكذا فهذه العلامات كلها تترك المتلقي يبحث عن جواب لسؤال هو ما هو تراب الماس؟.

2-3: المستوى الإيقوني / أيقونات الصورة:

تعد الصورة بوابة أيقونية للتعبير والاتصال، فهي تعبر وتؤثر وهي معروفة وقديمة قدم الإنسان الذي رسم صور على الكهوف وفي المغارات وفي وقتنا الراهن الصورة تعزز الكلمة وتعطيها توضيحاً أكثر حتى أنها في بعض الأحيان تنوب عن الكلمة.

غلاف تراب الماس الطبعة الثانية مختلفة تماماً عن الرواية الورقية التي تحدثنا عنها في هذه الطبعة كما هو واضح نجد اللون الأسود هو لون الغلاف، أما في القسم الأعلى من صفحة الغلاف يظهر أمامنا اسم المؤلف أحمد مراد ونجد يدين لرجل يرتدي قميص أسوداً يبرز الجزء الأمامي من مرفقيه تحمل هاتين اليدين دفتراً مكتوباً بخط اليد أحمر اللون ملطخ بالدماء، لنجد على يمين الصورة اسم المؤلف ودار النشر باللون الأبيض ويتوسطها العنوان باللون الأحمر لنلني في أسفل الصورة بنايات أو بالأحرى عمارات ملطخة بالدماء.

فالنص يتر مادة الجريمة ويترك أداة الجريمة "اليدين" واسم المادة "تراب الماس" الذي كتب باللون الأبيض والأحمر باعتبارها علامة رمزية فاللون الأبيض "كعطي تشكيلي لا يمتلئ دلالياً إلا بارتبانه إلى ما أكسبته التجربة الإنسانية من قيم لذلك وجدنا اللون الأبيض في تحقيقاته المختلفة يرتبط بوجهين متقابلين هما الفرح والحزن وهما دلتان تحققها الثقافة الواحدة أحياناً"¹⁹ أما اللون الأحمر لون الدم والعنف والخطر، فهو تقريباً يحمل ترسيمة جاهزة وموحدة والرواية تثبت هذا المعنى، إن كتابة المؤلف للعنوان في الواجحة باللون الأبيض يعطينا جرداً أولياً يشير إلى جلب السلم وجلب الطهارة والبحث عن النقاء، واللون الأحمر في جانب الرواية استعمل ليرمز إلى أن الواجب أن تسفك دماء في ظل مجتمع لا سلطة فيه للحق والقانون إلا على الضعفاء وأن الضعفاء في هذا المجتمع هم نكرة، وخلاصة هذا إننا إذا نظرنا إلى تكاثف الألوان الداكنة خاصة اللون الأحمر والأسود اللذان أحذا المساحة الأكبر على مستوى الغلافين ندرك أن النص يحمل أحداثاً دموية، وهذا بالفعل ما تلقيناه في ثنايا النص أما بالنظر إلى الألوان الفاتحة كالأبيض والأصفر.. نقول أن هناك مجالاً للأمل وانفراجاً من هذه الأزمة إن صح التعبير، فلا يأس مع الحياة.

4- خاتمة:

في ختام قراءتنا لهذا العنوان بما فيه الغلاف، نؤكد أننا فسرنا وأولنا دلالاته في ضوء قراءة النص الروائي ككل ومحاولين الكشف عن بنية العنوان ودلالته الجمالية لنصل إلى جملة من النتائج:

- جاء العنوان ممبزا إذ شكل علاقة دلالية واصلة ومتصلة بالمتن الروائي تثير رغبة القارئ في معرفة معناه عند تلقيه أول مرة والبحث عن أبعاده بين ثنايا النص.

- أما عن الصعيد اللغوي والسياسي تميز عنوان تراب الماس باختيار مميز للمعجم اللغوي إذ أن العنوان الذي اختاره أحمد مراد أكثر قرباً للنص وبدائل العنوان- من خلال النص طبعاً- ليست بالكثيرة فانتخابه لتراب الماس يناسب النص أكثر من "بودة الماس"، أو عنوان مكاني كأن يكون العنوان "جرائم الميدان" مثلاً فحسب وجهة نظرنا "تراب الماس" هو العنوان المناسب وأحمد مراد أحسن الاختيار.

كما يبدو أن هذا العنوان الموجز المكثف دلاليًا يحيل وبشكل مضمّر إلى عناصر مهمة في بنية الرواية على رأسها الشخصية والمكان هذا الأمر يفسح المجال أمام القارئ ليشارك في تعبئة الفراغ الدلالي لهم وفق آلية التأويل فالعنوان يغري للنص وفي نفس الوقت يختزله .

¹ -شلواي عمار: مسرحية، أهل الكهف، لتوفيق الحكيم، مقارنة سميائية، الملتقى الثالث، السجاء والنص، جامعة محمد خيضر بسكرة، افريل 2004، ص:338.

² - ابن منظور: لسان العرب، المجلد4، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص: 315

³ - محمد فكري الجزائر: العنوان وسميوطيقا الاتصال الادبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د، ط، 1998، ص:20

⁴ - محمد عبد المطلب: بلاغة السرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ليبيا، د، ط، دت ص: 21، 20

⁵ - نورة آل سعد: أصوات الصمت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 2005، ص:143

⁶ - بلقاسم دفة: التحليل السميائي للبنى السردية، رواية حمامة سلام للدكتور نجيب الكيلاني أمودجا، الملتقى الوطني الثاني، السمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، المنشورات الجامعية 15/ 16، افريل 2002، ص:35

⁷ - محمد مفتاح: دينامية النص (تنظير وأنجاز) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت، ص:72

⁸ - شلواي عمار، مسرحية أهل الكهف، مرجع سابق، ص:339

⁹ ينظر: بسام موسى قفوس، سمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، ط، 2001، ص:1، 37

¹⁰ أحمد مراد: تراب الماس، دار الشروق، ط 8، 2013، ص:243

¹¹ <http://mawdoo3.com> كيفية تكون الأملاس، سارة زقيبة، 27/05/2017، 00:24h

¹² Gérard Genette :Introduction to the paratext, trans :Maris Maclean, new literary History ,vol 22n02 ,spring 1991p261

¹³ -جميل الحمداوي، السميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، الكويت، مج 25، عدد 3، 1997، ص:107

¹⁴ - حسن نجحي، شعرية الفضاء السردية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت ط 1، 2000، ص:22

¹⁵ -عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردية معالجة تفكيكية سميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص:297.

¹⁶ -عمر مختار: اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 1997، ص:2، 111

¹⁷ -عبد المجيد العابد: سميائيات الخطاب الروائي، اللص والكلاب، و"ذات" رؤية جديدة، كتاب الرافد دار الثقافة والإعلام الشارقة، العدد59، ديسمبر 2013، ص:24

¹⁸ -سعيد بن كراد التمثيل البصري، بين الإدراك وإنتاج الدلالة (الصورة نودجا) مقال غير منشور، نقلا عن الصورة وإنتاج المعنى، قراءة في غلاف بر مصر ليوسف التعيدل بدبعة الطاهري. www.aljabriabed.net/m84-08badiaa.htm 15:16h2016/10/12

¹⁹ -بدبعة طاهري: مرجع سابق، نقلا عن كاترين هومبر في معجمها التي تشير أن اللون الأبيض في أوروبا هو لون الزواج والحواريات ولكنه أيضا لون الأشباح وكما يشير اللون الأبيض إلى القمر ويرتبط أيضا بالموت.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

(1) بسام موسى قفوس، سمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، ط، 2001، 1.

(2) Gérard Genette :Introduction to the paratext, trans :Maris Maclean, new literary History ,vol

22n02 ,spring 1991p261

(3) - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، المجلد4، بيروت دط، دت، ص: 315

(4) أحمد مراد: تراب الماس، دار الشروق، ط 8، 2013 .

- (5) - بلقاسم دفة: التحليل السميائي للبنى السردية، رواية حمامة سلام للدكتور نجيب الكيلاني أمودجا، الملتقى الوطني الثاني، السمياء والنص الأدبي:جامعة محمد خيضر بسكرة، المنشورات الجامعية 15/ 16، افريل 2002.
- (6) -جميل الحمداوي، السميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، الكويت، مج 25، عدد 3، 1997.
- (7) - حسن نجمي، شعرية الفضاء السردى المركز الثقافى العربي، الدار البيضاء بيروت ط 1، 2000.
- (8) -عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردى معالجة تفكيكية سمائية مركبة لرواية "زقاق المدق" ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995.
- (9) -عبد المجيد العابد: سمائيات الخطاب الروائي، اللص والكلاب، و"ذات" رؤية جديدة، كتاب الرافد دار الثقافة والإعلام الشارقة، العدد 59، ديسمبر 2013.
- (10) -عمر مختار: اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1997، 2.
- (11) -¹⁹ محمد مفتاح: دينامية النص (تنظير وانجاز) المركز الثقافى العربي، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت.
- (12) -¹⁹ نورة آل سعد: أصوات الصمت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت د، ط 2005.
- (13) - محمد عبد المطلب: بلاغة السرد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ليبيا، د، ط، د ت .
- (14) - محمد فكري الجزار: العنوان وسميوطيقا الاتصال الادبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د، ط، 1998.
- (15) -سعيد بن كراد التمثيل البصرى، بين الإدراك وإنتاج الدلالة(الصورة نودجا) مقال غير منشور، نقلا عن الصورة وإنتاج المعنى، قراءة في غلاف بر مصر ليوسف التعيدل بديعة الطاهري .www.aljabriabed.net/m84-08badiaa.htm 15:16h2016/10/12
- (16) شلواي عمار: مسرحية، أهل الكهف، لتوفيق الحكيم، مقارنة سمائية، الملتقى الثالث، السمياء والنص، جامعة محمد خيضر بسكرة، افريل 2004، ص:338.